

الكشاف

" فإن ا غني عنكم " عن إيمانكم وإيمانكم المحتاجون إليه لاستمراركم بالكفر واستنفاعكم بالإيمان " ولا يرضى لعباده الكفر " رحمة لهم لأنه يوقعهم في الهلكة " وإن تشكروا يرضه لكم " أي يرض الشكر لكم لأنه سبب فوزكم وفلاحكم فإذا ما كره كفركم ولا رضي شكركم إلا لكم ولصالحكم لا لأن منفعة ترجع إليه لأنه الغني الذي لا يجوز عليه الحاجة . ولقد تحمل بعض الغواة ليثبت ا تعالى ما نفاه عن ذاته من الرضا لعباده الكفر فقال : هذا من العام الذي أريد به الخاص وما أراد إلّا عباده الذين عناهم في قوله : " إن عبادي ليس لك عليهم سلطان " الإسراء : 65 ، يريد : المعصومين كقوله تعالى : " عينا يشرب بها عباد ا " الإنسان : 6 ، تعالى ا عما يقول الظالمون وقرء : " يرضه " بضم الهاء بوصل وبغير وصل وبسكونها . " وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل ا أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار " " خوله " أعطاه . قال أبو النجم : .

أعطى فلم يبخل ولم يبخل ... كوم ذرا من خول مخول .

وفي حقيقته وجهان أحدهما : جعله خائل مال من قولهم : هو خائل مال وخال مال : إذا كان متعهدا له حسن القيام به ومنه ما روي عن رسول ا A : " أنه كان يتخول أصحابه بالموعظة . والثاني : جعله يخول من خال يخول إذا اختال وافتخر " وفي معناه قول العرب : " إن الغني طويل الذيل مياس " نسي ما كان يدعو إليه " أي نسي الضر الذي كان يدعو ا إلى كشفه . وقيل : نسي ربه الذي كان يتضرع إليه ويبتهل إليه وما بمعنى من كقوله تعالى : " وما خلق الذكر والأنثى " الليل : 3 ، وقرء : " ليضل " بفتح الباء وضمها بمعنى أن نتيجة جعله ا أندادا ضلاله عن سبيل ا أو إضلاله والنتيجة : قد تكون غرضا في الفعل وقد تكون غير غرض . وقوله : " تمتع بكفرك " من باب الخذلان والتخلية كأنه قيل له : إذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الإيمان والطاعة فمن حقك ألا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه : مبالغة في خذلانه وتخليته وشأنه . لأنه لا مبالغة في الخذلان أشد من أن يبعث على عكس ما أمر به . ونظيره في المعنى قوله : " متاع قليل ثم مأواهم جهنم " آل عمران : 197 .

" أمن هو قانت ءاناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتفكر أولوا الألباب " و قرء : " أمن هو قانت " بالتخفيف على إدخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد على إدخال " أم " عليه . ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره : أمن هو قانت كغيره وإنما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جري ذكر الكافر قبله

. وقوله بعده : " قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون " وقيل : معناه أمن هو قانت أفضل أمن هو كافر . أو أهذا أفضل أمن هو قانت على الاستفهام المتصل . والقانت : القائم بما يجب عليه من الطاعة . ومنه قوله E : " أفضل الصلاة طول القنوت " وهو القيام فيها . ومنه القنوت في الوتر لأنه دعاء المصلي قائما " ساجدا " حال . وقرء : " ساجد وقائم " على أنه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين . وقرء : " ويحذر عذاب الآخرة " وأراد بالذين يعلمون : العاملين من علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل غير عالم . وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا فهم عند جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ويجوز أن يرد على سبيل التشبيه أي : كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون . وقيل : ونزلت في عمار بن ياسر Bه وأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي . وعن الحسن أنه سئل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجو فقال : هذا تمن وإنما الرجاء قوله وتلا هذه الآية . وقرء : " إنما يذكر " بالإدغام . " قل يا عبادي الذين ءامنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرضوا واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب " .